

التفكير العلمي والإبداعي..

حول التفكير : مقدمات عامة

(3/1)

عبد الله بن عبد الرحمن البريدي

مدخل:

يجسد التفكير نعمة عظيمة وهبها الله - تعالى - للإنسان ليتعرف عليه ويعبده ، وليعمر الأرض ويقيم البناء الحضاري على هدي الرسالات النبوية. ولقد امتاز الإنسان بها وتفرد عن بقية المخلوقات ، وهي نعمة لا ينفك عنها إنسان عاقل ، ولا يتصور خلو الحياة الإنسانية منها لحظة من الزمن. ومن هنا تتجلى أهمية التفكير في حياتنا الخاصة والعامة.. الدينية والدينية.. العلمية والعملية.. ومن هذه الأهمية تنبثق ضرورة مراجعة أساليب التفكير السائدة ، لتحديد ما إذا كانت قادرة على تحقيق هدف العبودية الشاملة؛ أم أنها تحتاج إلى إعادة بناء وهيكلية؛ وذلك بعد القيام بعملية هدم للأساليب المغلوطة، وفل للقيود الذهنية ، وتكسير للحواجز العقلية التي قد تعيق التفكير السليم والإنتاج الإبداعي.

والتفكير قضية معقدة من حيث ماهيتها ، ومنهجيتها ، وما يؤثر بها من الدوافع النفسية الذاتية والعوامل البيئية الخارجية. إن التفكير في حقيقة الأمر ليس مجرد منهجية جوفاء تهذر بها الألسنة ، وتؤلف بها الكتب ، وتنمق بها الدراسات ، بل هو ما يسترشد به الفكر، وما يضيء به العقل، وما تنجذب إليه النفس من خطوات ذهنية ، يحوطها انفعال صادق يروم العطاء والبذل ، وترحمها رؤى متناثرة ، استجلبها تعلم فطن وتأمل حاذق. وثمة أسئلة كثيرة تعوزها إجابات دقيقة، من خلالها يمكن تصحيح طرائق التفكير واسترداد (العافية الذهنية) الكاملة ، ومن ثم ترقية الأهداف ورفع الأداء ، كما أنها بدرجة ثانية تجسد ما يحيط بعملية التفكير من تعقيد وإشكالية ، وأهم هذه الأسئلة ما يلي:

ما هو التفكير؟ وكيف يفكر الإنسان؟

هل ثمة عوامل تنضج التفكير وتخصبه ، وأخرى تفسده وتسطحه؟

لماذا يبدو أحدنا مندفعاً في قضية دون أخرى؟! وفي وقت دون آخر؟!

ما علاقة اللغة بالتفكير؟ وهل نستطيع أن نفكر بدون لغة معينة؟

ألا يمكن أن تمارس حواسنا خداعاً لنا في عملية الإدراك التي تسبق

عملية التفكير؟

هل تؤثر العوامل البيئية على التفكير إيجاباً أم سلباً؟

كيف يؤدي التفكير بالإنسان إلى النجاح بعد توفيق الله - تعالى -؟

أيمكن اكتساب التفكير العلمي بالتعلم والممارسة أم أنه فطري جيلّي؟
 ما مدى انسجام التفكير السائد مع التفكير العلمي؟
 لماذا لا نستفيد في بعض الأحيان عندما نفكر جماعياً؟!
 ما هو التفكير الإبداعي؟ وهل يمكن تحول الإنسان إلى مبدع؟ وكيف؟!
 بإيجاز مشوب بشيء من التفصيل ، يحاول هذا الموضوع أن يتلمس
 إجابات لما سبق، مصاعاً بقالب يرجى أن يكون واضحاً ، ومدعمة
 بأمثلة تطبيقية.

قبل المضي قدماً:

أود لفت نظر القارئ الكريم قبل قراءة هذا الموضوع إلى ما يلي:
 1- أن القراءة في موضوع كالتفكير يجب أن تتلبس بتركيز شديد.
 2- أهمية إعادة قراءة بعض أجزاء الموضوع التي يشعر القارئ بأهميتها ،
 أو على الأقل تلك التي طولب بإعادة قراءتها.
 3- ثبت علمياً أن التفكير لا يمكن أن يكتسب من خلال قراءة عجلية
 وتفاعل بارد ، بل لا بد من القراءة المتأنية والتفاعل الجاد مع التطبيقات
 المبنوثة في ثنايا الموضوع ، والتقيد الدقيق بخطواتها المحددة.
 4- أهمية الربط بين أجزاء الموضوع وحلقاته ، وذلك بإعادة قراءة
 الموضوعات السابقة التي تعتبر تمهيداً لموضوعات لاحقة.
 5- ضرورة الاعتقاد بأن التفكير السديد المنتج مهارة يكسبها التعلم وإعادة
 يصنعها التدريب.. ، والإيمان بخبر القرآن: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى
 يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)) [الرعد: 11].

الوحي يحث على التفكير:

ثمة نصوص قرآنية كثيرة تحث على التفكير والتفكر ، وتعلي من شأن
 العقل والعقلاء؛ فلقد وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم (20) مرة بصيغ
 مختلفة ، منها:

قول الله - تعالى -: ((كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)) [البقرة: 219]
 ((أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ)) [الروم: 8] وقوله: ((فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) [الأعراف: 176] (1).

كما جاء في الكتاب العزيز صيغ أخرى تؤكد على أهمية التفكير ، كما في
 قوله - عز وجل -: ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
 وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)) [إل عمران: 190 ، 191] ، وقوله:
 ((كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) [البقرة: 242] ، وقوله:
 (...انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ آيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)) [الأنعام: 65] ، وقوله: ((يُؤْتِي
 الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
 الْأَلْبَابِ)) [البقرة: 269].

ماهية التفكير:

فكر في الأمر: أعمل العقل فيه ، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى
 مجهول ، وأفكر في الأمر: فكر فيه فهو مفكر ، وفكر في الأمر: مبالغة في
 فَكَرَ وهو أشيع في الاستعمال من فَكَرَ ، فالفكر: إعمال العقل في
 المعلوم للوصول إلى المجهول. والتفكير: إعمال العقل في مشكلة
 للتوصل إلى حلها ، الفكر: جمع أفكار ، وهي تردد الخاطر بالتأمل والتدبر
 بطلب المعاني(2).

هذا في اللغة ، أما في الاصطلاح فلعله من المناسب أن أتجاوز إشكالية
 التعريف التي تحيط بهذا المصطلح إلى التعريف الذي أرتنيه للتفكير وهو:
 «العملية الذهنية التي ينظم بها العقل خبرات ومعلومات الإنسان من أجل
 اتخاذ قرار معين إزاء مشكلة أو موضوع محدد».

ومن التعريف السابق نخلص إلى أن التفكير يتطلب:

- قالباً ينتظم خبرات ومعلومات الإنسان.
 - مخزناً يحتويها ويحتفظ بها لحين استدعائها.
 - بيئة نفسية معينة ومحيطاً اجتماعياً محدداً (التفكير لا يمكن أن يحدث
 في فراغ وإنما في بيئة ما).
 ولذا كان من الواجب أن أعرض لعلاقة اللغة والذاكرة والحالة النفسية من
 جهة ، والتفكير من جهة أخرى؛ ذلك أن اللغة هي القالب الذي يشكل
 الخبرات والمعلومات ، والذاكرة هي ذلك المخزن الذي يحتويها ، والحالة
 النفسية (سيكولوجية التفكير) هي الجو الذي يتنفس فيه التفكير.

ثراء لغتنا سبب في عمق تفكيرك:

ثمة علاقة عضوية متينة بين اللغة والتفكير ، فاللغة هي القالب الذي
 ينصب فيه الفكر ، والفكر هو المضمون الذي يحتويه ذلك القالب اللغوي.
 ويعبر البعض عن هذه الوشيجة بالقول بأن اللغة والفكر يعتبران وجهين
 لعملة واحدة.

يتعذر التفكير التجريدي (الذي هو في المعنويات لا في المحسوسات)
 في حالة انعدام اللغة ويتسطح بضعفها؛ ذلك أنها السبيل الأوحى لتحويل
 التفكير الحسي (في المحسوسات) إلى تفكير تجريدي نافع. ويستلزم
 التفكير العميق ثراءً لغوياً وعمقاً في فهم دلالات وإيحاءات الكلمات المكونة
 للبناء اللغوي ، وفي هذا المعنى يقول د. محمد الشنيطي: «وليس من
 شك في أننا حين نفكر لا سبيل لنا إلى التفكير إلا في لغة ، ولا حيلة لنا
 إلى ضبط هذا التفكير إلا إذا كان القالب اللغوي واضح المعالم لا يفضي
 إلى غموض ولا يدعو إلى لبس ، ولا ينم عن قلق واضطراب يعكس
 بالتالي على تفكيرنا»(3).

ولتأكيد هذه الأهمية المتناهية للثراء اللغوي ، أشير إلى أن التفكير في أي مشكلة إنما يعتمد علي مجموعة محددة من الكلمات والمصطلحات ، وبدهي أن من كان فهمه أعمق لهذه الكلمات والمصطلحات فإن تفكيره سيكون أعمق وأنصح ، فهب أن مشكلة ما تعتمد على الكلمات التالية:
أناس - حق - واجب - استطاعة - كذب - صدق - حرية - دقة - ضوابط - حوافر - نجاح - تحقق ذات - استشعار المسؤولية - اجتهاد - صواب - خطأ - استئناف العمل - ثقافة - أزمة - إدارة.

ومن هنا فإن كل من يتفهم هذه الكلمات والمصطلحات ، بجانب سيرورة تفكيره وفق المنهج العلمي سيكون أحظى بالصواب وأظفر بالنجاح - بعد توفيق الله تعالى له - من كل من تتمتع عليه هذه الكلمات ، وتتشوه في عينيه هذه المصطلحات! [يمكنك لاحقاً مراجعة معنى ما يلي: الصدق ، تحقق الذات ، الاستئناف].

ولقد أثبتت بعض الدراسات قوة العلاقة بين اللغة والتفكير؛ حيث اكتشفت دراسة متخصصة أن لغة قبيلة هوبي الهندية لا تحتوي على صيغة الماضي والمستقبل ، وإنما تحتوي فقط على صيغة الحاضر ، ولذا فإن أفراد هذه القبيلة يتكلمون كل شيء وكأنه يحدث الآن ، مما أثر على تفكيرهم!!(4).

التفكير السليم وعاؤه ذاكرة جيدة:

سبق أن أسلفت أن التفكير عملية ذهنية ينظم بها العقل الخبرات والمعلومات من أجل اتخاذ قرار معين ، ومن هذا التعريف نخلص إلى أهمية الذاكرة لهذه العملية ، ذلك أنها المخزن الذي يحوي تلك الخبرات والمعلومات التي يستخدمها العقل الإنساني في التفكير ، ومن هنا تبرز أهمية التعرض لآلية الذاكرة ، وكيفية تفعيلها بقدر معقول من التفصيل بحيث يسهم في تعميق التفكير وتسهيل مهامه وتسريع عمله.

تنقسم الذاكرة إلى(5):

1- مخزن المعلومات الحسي: ولا تستطيع الذاكرة الاحتفاظ بالمعلومات في هذا المخزن بما يتجاوز ثواني؛ فعند سيرك في شارع عام في سيارتك تلحظ لافتات المحلات عن اليمين والشمال ، وتجد أن تلك المعلومات لا تلبث أن تزول.

2- الذاكرة قصيرة المدى: وهي التي تحتفظ لمدة ساعات بالمعلومات التي يشعر الإنسان بأهمية تخزينها وبضرورة اصطحابها على الدوام؛ فأنت عندما تسأل عن رقم هاتف لا تحتاج الاتصال به إلا مرة واحدة تجد أنك تردده في نفسك بضع مرات لكي تتمكن من تخزينه في ذاكرتك القصيرة حتى تنهي الاتصال ، ثم لا يلبث هذا الرقم في تلك الذاكرة إلا لمدة تتناسب مع تقديرك لأهميته في المستقبل القريب.

3- الذاكرة طويلة المدى: وهي التي تحفظ لمدة طويلة المعلومات التي يبذل الانسان في سبيل تخزينها جهداً كبيراً ويمضي وقتاً طويلاً ، ويعتقد بعض علماء النفس أن تلك المعلومات يستديم وجودها في تلك الذاكرة؛ بمعنى أنها لا تزول بمرور الوقت ، والحقيقة أنه قد تزول وتتشوه بعض أجزائها ، إلا أن الجزء الأكبر يبقى على سبيل الدوام. ويجب التنبيه إلى أن عدم استرجاع معلومة من تلك المعلومات في لحظة معينة لا يعني عدم وجودها ، وإنما يعني فقط عدم مناسبة طريقة الاسترجاع ، ولوجود اضطرابات نفسية معينة.

وتمر آية التذكر بالمرحلة التالية:

1- استقبال المعلومة المراد تخزينها في أي من أقسام الذاكرة وفق ما سبق تفصيله ، ويجب أن تعود على التركيز عند استقبالك للمعلومات.
2- ترميز تلك المعلومة وذلك بإعطائها رمزاً معيناً تستدعي من خلاله عند الحاجة إليها ، وتعتبر هذه المرحلة الأخطر والأهم؛ فكلما كان ترميزك للمعلومة أدق وأوضح كلما استطعت أن تخزن المعلومة لمدة أطول وتسترجعها بطريقة أسرع.

هل تتذكر من قتل الآخر... قابيل أم هابيل؟ قد تتذكر بسرعة وقد لا تتذكر بسرعة ، بل قد لا تتذكر مطلقاً؟! لكن أرايت لو أنك تعودت على ترميز معلوماتك بصورة دقيقة ، كأن تقول في نفسك عند سماعك أو قراءة تلك لهذه المعلومة لأول مرة ومعرفتك بأن قابيل هو القاتل: قابيل هو القاتل.. قد (البدء بحرف القاف) ، هل تعتقد أنك ستنسى تلك المعلومة؟! وخذ مثلاً آخر.. عند استماعك للرقم الجديد لهاتف صديقك حاول ترميزه بشكل منطقي ، فبافتراض أن الرقم هو 240/1545.. سيبدو لك ذلك الرقم صعباً في البداية! لكن ماذا لو قلت 240... قبل وفاة الإمام أحمد - رحمه الله - بسنة واحدة ، 1545... بينه وبين نهاية الحرب العالمية الثانية 400 سنة!! وكذلك بالنسبة للتواريخ ، فإنك تستطيع أن تثبت تواريخ معينة في كل قرن أو قرنين لتصبح كالأوتاد الذهنية التي تشد بها غيرها.

ومن طرق الترميز الجيدة استخدام الصور الذهنية ، فمثلاً: هب أنك تريد شراء قلم ودفتري من المكتبة ، وخبز وقشطة ولعبة لطفلك الصغير من الدكان ، فإنه يمكنك حينئذ أن تتخيل نفسك أنه بعد تناولك للإفطار قمت بكتابة موضوع عن لعب الأطفال!!

3- تخزين المعلومات في خلايا الذاكرة التي يبلغ تعدادها ما يقارب 10 مليارات خلية ، كل خلية تستوعب 100 ألف معلومة!! كما دلت الدراسات المعاصرة - المتخصصة على أن الإنسان - في المتوسط - يخزن 15 تريليون معلومة.. فما أعظم الخالق - عز وجل - وما أجعلنا بقدراتنا!!

4- استدعاء المعلومة المطلوبة من خلال رمزها.

وثمة نوعان للذاكرة هما:

- 1- الذاكرة الدورية: وهي التي تعتمد على الترداد والتكرار وهي مفيدة في حفظ النصوص المختلفة.
- 2- الذاكرة المنطقية: وهي التي تعتمد على الترتيب والربط المنطقيين ، كما في الأمثلة السابقة ، ويجب أن تفعل دور هذه الذاكرة بقدر استطاعتك.

وأخيراً لماذا ننسى؟

ثمة أسباب أربعة بل خمسة تؤدي إلى النسيان هي:

- 1- ضعف انطباع المعلومة (الصورة الذهنية) في الذاكرة لضعف التركيز!
- 2- عدم تثبيت المعلومة بعد تخزينها إلا بعد وقت طويل.
- 3- تداخل المعلومات بعضها على بعض.
- 4- طرد المعلومات غير السارة (الكبح في علم النفس)!
- 5- تجاهل ما أوصى به (وكيع) من ترك المعاصي!!

سيكولوجية التفكير:

التفكير عملية ذهنية تتأثر بالعامل النفسي سلباً أو إيجاباً ، ويمدى الاقتناع بالقضية محل التفكير ، فإذا ما تمتع الإنسان بصحة نفسية راتقة حال تفكيره في قضية توافرت أسباب اقتناعه بها ، فإنه يندفع للتفكير فيها بحماس وانفتاح بطريقة قد توصل إلى الحل المناسب بعد توفيق الله - تعالى - له ، في حين أنه قد يعجز ذلك الإنسان عن مجرد إقناع نفسه بأهمية استمراره في التفكير في تلك القضية في حالة اعتلاله نفسياً!! ويمكن تسمية تلك الحالة بـ «الانغلاق الذهني النفسي» ، وربما يجد أحياناً أن لا مفر من هجر التفكير حينذاك والانهماك في عمل آخر ريثما تعاوده صحته النفسية!!

كيف نفكر؟

على الرغم من كون التفكير عمل لا ينفك عنه إنسان حي ، إلا أنه حقيقة معقدة من حيث تفاصيلها وخطواتها ، ويتفق علماء الجهاز العصبي على أن الدماغ الإنساني هو أعقد شيء في كون الله الواسع(6) ، غير أن هذا لا يعني استحالة الإحاطة العامة بمثل تلك التفاصيل والخطوات بعيداً عن تعقيدات بعض المناطق ، وسفسطة جل الفلاسفة التي يمكن تلخيصها بما يلي:

- 1- وجود مثير في قوالب مختلفة تنجذب إليه عقولنا من خلال حواسنا (الانتباه). والعوامل التي تؤثر على قوة ذلك الانتباه ما يلي:
 - عوامل داخلية: كالدوافع ، والقيم ، والميول.
 - عوامل خارجية: كطبيعة المثير وقوته وموضعه ومدى حدثه.

2- ترجمة ذلك المثير في المخ بمساعدة الذاكرة والمخيلة إلى رموز يدركها العقل (أشخاص ، أشياء ، معاني) (الإدراك)(7).

3- إعمال العقل لتلك الرموز من أجل الوصول إلى نتيجة معينة. ويمكن تقسيم العقل البشري في ضوء العملية الذهنية التي يقوم بها إلى: (8)

أ - العقل الواعي (الوعي): وعن طريقه يمكننا إدراك الأشياء والمعلومات ، وتخزينها وربط بعضها ببعض على نحو مفيد ، واتخاذ القرار بالفعل أو عدمه.

ب - العقل الباطن (اللاوعي): وهو الذي يتحكم بالوظائف التلقائية (اللاإرادية) ، وتخزين الأحداث ودفع الإنسان لممارسة ما اعتاد عليه (العادات).

وهناك تواصل بين الوعي واللاوعي وتكامل في الأدوار.

ومن الشرود ما قتل:

كثير من الناس يشكون من «الشرود الذهني» أثناء تفكيرهم ، مع أنهم يدعون مجاهدة أنفسهم للظفر بنسبة من التركيز تمكنهم من إنهاء عملية التفكير بسرعة قبل أن يفترس الشرود بنات أفكارهم!!

فما هو التركيز؟ وكيف نظفر به؟

لا يعني التركيز - كما هو شائع - أن يبقى العقل عاكفاً على قضية واحدة ، أو حول فكرة واحدة ، أو في مكان واحد ، وإنما يعني تناول مشكلة أو موضوع باستمرار ووضعه نصب عيني الشخص حتى يتم التوصل إلى نتائج معينة. ويرجع أغلب التشبث الذهني إلى عدم الاقتناع بأهمية ما نفكر به ، أو إلى أن هناك ما هو أهم منه(9).

والآن كيف السبيل إلى التركيز؟

إذا رغبت في اصطحاب التركيز دائماً فعليك:

1- أن تعناد على التركيز؛ فالتركيز هو عادة قبل أي شيء آخر ، كما أن الشرود عادة! فجاهد نفسك وكن صارماً مع الأفكار التي تحاول أن تصدك عن تفكيرك ، وقم بقطع حبالها قبل أن تخنقه ، ولا تكن عينك رقيباً يوجب أطراف المكان ويتعاهد أجزاءه ، ولا تكن أذنك جهاز ترصد للأصوات المشتتة!!

2- أن تقتنع بما تفكر به ، ثم تختار الوقت المناسب للتفكير.

3- أن ترخي ذهنك وبدنك. وبعضهم يقول بأن عدم الاسترخاء أفضل للتركيز ، وقد يكون الرأي الأرجح أن الناس يختلفون في ذلك ، فاختر الأنسب لك(10).

وثمة طريقة قد تؤدي إلى التركيز خاصة عند من يعانون من نوبات التشبث المزمنا ، وهي الإمساك بقلم والاستعداد لتدوين أمالي العقل

وتدفقات الفكر ، وهي طريقة مجربة استخدمها بعض النابهيين ، وأشادوا بجدواها وأبانوا عن طيب نتائجها ، وقد يشعر من يمسك بقلمه لتدوين أفكاره في حالات خاصة بأنها تتدفق بقوة دافعة ، وحينئذ قد يحسن إلقاء القلم والاسترسال في عملية التفكير ، ريثما تخف درجة التدفق ، ومن ثم معاودة التدوين ، فإن في وسعك أنت تجريبها(11)!

فيروسات يعتل بها تفكيرنا:

ثمة فيروسات خطيرة متناثرة في بيئتنا الثقافية بمنظوماتها المختلفة ، أصابت تفكيرنا بفقر الدم ، وأذهاننا بالشلل ، وعقولنا بالكساح ، مما يظهر أهمية تفعيل جملة من النصوص الشرعية في عقلنا الجمعي والفردى للاستشفاء والتداوي بها ، والتي من شأنها إجراء عملية (جراحة ذهنية) تتمكن بها من إزالة تلك الفيروسات وإزهاقها ، كقوله - تعالى - في الحث علي التثبيت والتحري: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) [الحجرات: 6] ، وقوله: ((إِن الظن لا يغني من الحق شيئاً)) [يونس: 36] ، وقوله - جل وعز - في الحث علي العدل ومجافاة الهوى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135))) [النساء: 135] ، وقوله - تعالى - في بيان سبب المصائب: ((وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)) [الشورى: 30] ، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن الانتفاش الكاذب: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قيل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً؟ قال: إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس»(12).

ومع أهمية استحضار هذه النصوص وغيرها وتفعيلها في العقول ، يجب تعاهد تلك العقول بالتربية والإنضاج ، والحزم في إزالة ما علق بها من تلك الفيروسات لسبب أو لآخر ، والحراة في «الإنكار الذهني» على المعتلين والمتليسين بها ، والديمومة في تذكير الغافلين أو المتغافلين!!

ومن أهم هذه الفيروسات ما يلي(13):

- 1- التفكير القائم على أساس الهوى (اللاموضوعية).
- 2- التفكير القائم على مشاعر الكمال الزائف (الانتفاخ الذهني).
- 3- التفكير المستند على المواقف المسبقة (التحيز المسبق).
- 4- التفكير المبني على المشاعر وكأنها حقائق ثابتة (المراهقة الذهنية).
- 5- التفكير المبني على التمنيات وكأنها توقعات حقيقية (التوهم الذهني).

- 6- التفكير المتكئ على العادة (الجمود الذهني).
- 7- التفكير الذي يعتقد صاحبه دوماً أن جهة ما مسؤولة عن كل ما يحدث (عقدة المؤامرة).
- 8- التفكير الذي يعتقد صاحبه أنه يستطيع دائماً أن يعرف ما يفكر فيه الآخرون (الفراسة المتوهمة).
- 9- التعميم في التفكير من خلال رؤى محدودة غير كافية (الأرنبية الذهنية).
- 10- التردد والبطء في التفكير (السلحفة الذهنية).
- 11- التردد والبطء في اجترار الأفكار (الاجترار الذهني).

التفكير المعلق:

أصحاب هذا اللون من التفكير هم أولئك الذي يستنتجون قواعد عامة من حوادث شخصية ، أو تجارب ناقصة ، أو ملاحظات سطحية ، فيخلصون منها إلى تعميمات متسرعة ، وأحكام جاهزة ، وقوالب جامدة ، وهم لا يعترفون بتغير الظروف والملابسات ،... وترى الواحد منهم يسألك عن مسألة شائكة ويطلبك بجواب يتلخص بنعم أو لا!! ، وإذا خالفته قاطعك ، وحسم القضية بقوله: «إن المسألة كلها تتلخص في...» ، ثم يصدر حكماً نهائياً... وربما التفت إليك مستطيلاً حديثك، مستغرباً عجزك عن حسم المسألة، ومستجدياً عينيك نظرة إعجاب وإكبار على قدرته الفائقة على الحسم!!.. إن نتائج تفكير أولئك أشبه ما يكون بما نخرجه من جوف المعلبات التي نشترىها من الأسواق(14)!!

تطبيقات عملية:

وقبل أن أعرض للمنهج العلمي في التفكير ، ومن أجل استفادة تطبيقية أكيدة من الموضوع ، أرجو أن نفكر (فردياً وجماعياً) بشكل جاد ومكتوب ومتكامل في إيجاد حل للمشاكل التالية:

التطبيق الأول: اكتشف الأستاذ أحمد مدير التسويق في شركة ناجحة أن ابنه البالغ من العمر (16) سنة يتعاطى الدخان ، وتفاجأ أحمد بمثل هذا الخبر ، وبدأ يتساءل... حقاً إنها مشكلة خطيرة.. ولكن كيف؟ فأنا لا أتعاطاه ولا أحد إخوته!!... ومضى في حيرته... (مع العلم أن أحمد يمنح ابنه مصروفاً مدرسياً قدره خمسة ريالاً يومياً).

التطبيق الثاني: أذهل الجميع... الأستاذ حسن! كيف يطلب من مديره الموافقة على انتقاله من القسم الذي خدم فيه طيلة 17 سنة ، والذي أتقن جميع الأعمال المتعلقة به لدرجة أصبح معها مرجعاً ومستشاراً!

حاول المدير ثنيه عن طلبه بحجة عدم وجود من يخلفه في قسمه، بالإضافة إلى عدم إتقانه لأعمال القسم الآخر..

التطبيق الثالث: طلب المعلم من أحد تلاميذه الذي أخفق في الاختبار كشرط لاجتياز المادة: أن يرسم خطين متساويين ويضع في طرفي الخط الأول رأس سهم ، وفي طرفي الثاني مقلوب رأس سهم ، وأعطاه مسطرة. فقام التلميذ برسم هذين الخطين كما يلي:

>-----< <----->

الأول الثاني

صعق المعلم! وصرخ في التلميذ: تستحق الرسوب بجدارة! هل توافقه على ما ذهب إليه؟ وهب أنه يعينك أمر ذلك التلميذ.. هل ثمة مساعدة يمكنك تقديمها له؟!

ملاحظة: ستتم مناقشة تلك التطبيقات في الحلقة القادمة
- إن شاء الله تعالى -

الهوامش:

- (1) محمد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص666 - 667.
- (2) د. إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، مادة فكر ، ص698 ، وانظر: المنجد في اللغة والإعلام ، مادة فكر ، ص591.
- (3) د. محمد الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص137.
- (4) د. محمد نجاتي ، علم النفس في حياتنا اليومية ، ص258.
- (5) د. عبد المجيد نشواتي ، علم النفس التربوي ، ص373 - 402 ، وانظر جيفري ديدلي ، كيف تضاعف قدرتك على الدراسة والنجاح ، ترجمة د. عمر علي ، ص13 - 46 - 90.
- (6) د. مالك بدري ، التفكير من المشاهدة إلى الشهود ، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فيرجينيا ، ط3) ، ص26 - 27.
- (7) د. حمد المليحي ، علم النفس المعاصر ، ص167 - 168.
- (8) (هذا التقسيم ليس عضويًا - فسيولوجيًا - وإنما هو اصطلاحى من أجل التوضيح) د. عيسى الملا ، الإنسان والتفكير الإيجابي ، ص54 - 62.
- (9) هنري هازليت ، التفكير علم وفن ، ترجمة د. حامد العبد ، ص73 - 80.
- (10) كيف تضاعف قدرتك على الدراسة والنجاح ، ص96 - 110.
- (11) أرنست دمينة ، ترجمة رشدي السيسي ، فن التفكير ، ص129 - 132.
- (12) رواه مسلم (19) ، أبو داود (4091) ، والترمذي (1999).
- (13) د. محمد الخطيب وآخرون ، التفكير العلمي ، لدى طالب التعليم العام في المملكة العربية السعودية.. الواقع والطموحات ، ص52 - 53 ، د. جليل شكور ، كيف تجعل ابنك مجتهداً ومبدعاً ، ص65 - 67.
- (14) د. ر. جيسون ، كيف تفكر ، ص69 - 81.

التفكير العلمي والإبداعي..

كيف تكون علمي التفكير؟

(3/2)

عبد الله بن عبد الرحمن البريدي

التفكير نعمة ربانية اختص الله بها الإنسان، فإن كان تفكيره سليماً ومستقيماً هداه إلى معرفة الله وعبادته على بصيرة. وفي الحلقة الأولى تناول الكاتب مقدمات عامة تطرق فيها إلى ماهية التفكير، وكيف يفكر الإنسان، وآلية التفكير، وكيف يعتل التفكير. ويواصل الكاتب أبعاداً أخرى في صلب الموضوع.

- البيان -

أهمية التفكير العلمي وخصائصه:

تكمن أهمية التفكير العلمي في نتائجه وثماره، وتتجلى في خصائصه وميزاته، وتنبثق من منهجه وآليته؛ فهو يؤدي إلى الوصول إلى الحل المناسب - بعد توفيق الله تعالى - في الوقت الملائم وبتكلفة أقل. ويمتاز بأنه:

1- تفكير واضح المنهج، مترابط الخطوات.

2- تفكير موضوعي.

3- تفكير منطقي.

4- تفكير هادف.

إنه باختصار تفكير واع، منظم، منطقي، واضح، إنه تفكير: ماذا؟.. ولماذا؟... وكيف؟

قد لا يدرك أهمية التفكير العلمي من لم يتفحص طريقته في التفكير، ومن لم يعيش ضمن منظومة اجتماعية يفكر أفرادها علمياً، كما قد لا يستشعر أهميته من لم يتلبس بمنهجية التفكير العلمي يوماً من الدهر ولم يذق طيب ثمارها. وقد لا يقتنع البعض إلا بالتطبيق والمثال؛ وهذا أمر طبيعي، مما يحتم مزج الطرح النظري بالتطبيق.

منهج التفكير العلمي:

يتمخض عن التفكير إزاء مشكلة معينة أو مشروع معين قرار ما، بمعنى أن المفكر - في الأغلب - عندما يكد ذهنه في التفكير فإنه لا يخلو من حالتين:

- إما تفكير في مشكلة ماضية أو قمة أو متوقعة.

- أو في مشروع معين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه قد يفكر الإنسان في موضوعات جزئية كالتفكير في العلاقة بين قضيتين، وهذا ما يخرج في نظر البعض عن

الحالتين السابقتين، وبالتأمل نجد أن مثل هذا التفكير عادة ما يكون حلقة في منظومة تفكير متكاملة إزاء مشكلة أو مشروع معين، وإن لم يكن كذلك، فالمنهج العلمي يشدد على أهمية أن يستحضر صاحب التفكير في مثل ذلك الموضوع الأهداف التي دفعته إلى التفكير، مع إمكانية وضرورة الاستفادة من المنهج الخاص بالحالتين السابقتين. ومن أجل وضوح أشد في المنهج، وثمره أطيح في النتائج فإنه من المناسب أن تغرد كل حالة بمنهج خاص، وفق ما يلي من تفصيل نظري وإيضاح تطبيقي:

(أ) التفكير في حل مشكلة معينة:

دخلت ذات يوم المنزل بخطى استعجلها صوت والدتي: إخوانك جميعهم قد ناموا! وماذا في ذلك؟ الصغار استيقظوا من النوم ليجدوا الباب مقفلاً... والكبار أصابتهم نومة أهل الكهف. بدأنا نصرخ جميعاً: قوموا.. انهضوا.. استيقظوا.. لا أحد يجيب غير الصغار وبصراخ يتزايد.. أصابتنى رعشة أحسست معها بأنني أفكر بطريقة بدائية!! يمت وجهي شطر زاوية من الزوايا.. وأخذت أسأل نفسي... ما المشكلة؟ وما أسبابها؟ وماذا أريد بالضبط؟ وكيف أصل إلى ما أريد؟

إذاً من المهم جداً ونحن نفكر أن ندرك كيف نفكر (ما وراء التفكير)؟! المشكلة انحباس الصغار داخل الغرفة... والسبب هو إغلاق الباب بالمفتاح وعدم استيقاظ الكبار لفتحه.. وما أريده هو إخراج الصغار بسرعة لئلا يتأثروا نفسياً.. فما هو الحل!

إما كسر الباب.. أو إيصال صوتنا بطريقة توقف الكبار.. كسر الباب يبدو أنه مزعج ومكلف والحالة لا تستدعيه.. إذاً فالحل المناسب الثاني؛ ولكن كيف؟ الغرفة في الطابق العلوي ولكن نافذتها مفتوحة.. لماذا لا أسجل صوتي في شريط كاسيت ثم أقوم بإنزال جهاز المسجل من أعلى المنزل إلى النافذة... حل معقول! نجحت الفكرة بإيقاظهم من جراء الصوت المتطاير من الجهاز..

قصة ليست من نسج الخيال، قصدت من إيرادها فهم خطوات التفكير العلمي بعمق، والتأكيد على منطقيتها وسلامتها نتائجها - بعد توفيق الله تعالى -، والإشارة إلى أنه يمكن للواحد منا أن يفكر علمياً بسرعة جيدة متى عود نفسه على المنهج العلمي وتمرس عليه..

إذاً فعند تفكيرك في مشكلة معينة يجب اتباع الآتي:

1- تحديد المشكلة بدقة وتعريف أسبابها (بماذا تفكر).

2- تحديد الهدف من حل المشكلة (لماذا تفكر).

3- تحديد البدائل (الحلول) الممكنة (كيف تصل لما تريد).

4- اختيار أفضل البدائل ومتابعة تنفيذه. (كيف تصل إلى ما تريد على أفضل وجه).

قبل المضي قدماً أرجو أن تعيد قراءة الخطوات السابقة مرة أخرى..

والآن من المناسب أن أتعرض لهذه الخطوات على نحو مفصل كما يلي:

1- تحديد المشكلة بدقة وتعريف أسبابها:

(أ) تحديد المشكلة بدقة:

ما هي المشكلة؟ وكيف يشعر بوجودها؟ ولماذا تُحدد؟ وكيف؟ بعبارة بليغة موجزة يعرف د. سيد الهواري المشكلة بأنها: (انحراف الواقع عما يجب)(1)، وهذا التعريف إن إردنا أن يتضمن المشكلة الماضية والمتوقعة إلى جانب المشكلة القائمة فيجب أن نقول:

المشكلة هي: (الانحراف عما يجب).

ولا يمكن أن تشعر بوجود المشكلة إلا من خلال:

* معرفة واقع الحال.

* ومعرفة ما يجب أن يصير إليه ذلك الواقع.

فإذا كان هناك انحراف بين ما هو قائم واقعاً وبين ما كان يجب أن يقوم، فإنه بإمكانك إدراك أن ثمة مشكلة معينة تحتاج إلى حل.

ويمثل تحديد المشكلة بوابة العبور إلى جزيرة الحلول الملائمة، والقنطرة إلى الوصفات الناجعة؛ إذ لا وصف للدواء إلا بعد تشخيص الداء؛ وهذا أمر بدهي لا يعوزه برهان. لقد أجمع علماء الإدارة على أن من أهم أسباب نجاح الإدارة اليابانية (أو التفكير الياباني) هو التركيز على تحديد المشكلة بدقة، وإمضاء وقت طويل لتحقيق ذلك بعكس البعض؛ إذ يفترضون دوماً أن المشكلة واضحة لدرجة لا يجوز معها أن يضيعوا شيئاً من الوقت في تحديدها! مع أنهم في حالات كثيرة يفكر كل واحد منهم في مشكلة تختلف عن تلك التي يفكر فيها الآخر!

هل اعتاد الواحد منا أن يسأل من يفكر معه عن المشكلة: ما هي المشكلة التي نفكر فيها؟

ولقد ثبت لدي بالتجربة العملية أن من طالبتهم بالتفكير الجماعي في مشكلة معينة لم يسأل أحدهم الآخر عما يفكرون فيه؛ مع أنه بسؤالهم بعضهم تبين لي أن البعض كان في الشمال والآخر في الجنوب! أو في الشمال الغربي!

وهنا نتلمس سبباً رئيساً من أسباب إخفاق التفكير الجماعي:

(يفكر بعضنا غرباً وبعضنا الآخر شرقاً!).

ويجب في حالة التفكير الجماعي أن تكون القناعة بأهمية المشكلة متجانسة، أو متقاربة، ولا بد أن يكون إمام المشاركين في التفكير

الجماعي بتفاصيل المشكلة وأجزائها كذلك، كما أنه من البدهي تقارب مستوياتهم الفكرية والثقافية، وإلا فإنه يجب أن يُصار إلى التفكير الفردي؛ إذ إنه حينذاك يصبح أكثر كفاءة وأعظم جدوى(2).

من الأمور المعينة على تحديد المشكلة أن توجه مجموعة من الأسئلة لنفسك، على أن تتناسب مع طبيعة المشكلة، فمثلاً:

ما هو الخلل؟ ما هو النقص؟ ما هو الانحراف؟ ما هو الخطأ؟

ما هو الشيء الذي وقع فيه الخلل؟ وكيف؟

وأين يوجد الخلل في الشيء نفسه؟

متى لوحظ الخلل أول وآخر مرة؟

هل الخلل في ازدياد أم في نقص؟ ماذا كان يجب أن يكون؟ وكيف كان؟

من هو المسؤول عن الخلل؟

هل أنا جزء من المشكلة أم من الحل؟؟!!

وعندما تتلمس المشكلة يجب أن تفرق بين:

1- المشكلة الظاهرية (العرضية): وهي تلك التي تبدو في الوهلة الأولى بأنها هي المشكلة التي يجب حلها، غير أنه بالتركيز والعمق يتبين لك زيفها ويتعري خداعها.

في التطبيق الأول: ما هي المشكلة... أهى تعاطي الابن للدخان(3)!

وفي التطبيق الثاني: ما هي المشكلة.. أهى خسارة ذلك الموظف(4) الجاد في قسمه وعدم وجود من يخلفه فيه؟

وفي التطبيق الثالث: ما هي المشكلة.. أتراها إخفاق الطالب في جعل الخطيين متساويين(5)!

2- المشكلة الحقيقية: وهي ما يجب حلها والتركيز عليها، وهي قد لا توجد بنفسها لمن أصيب بـ (العجلة الذهنية) وقد تحتاج لكي تكتشفها إلى ارتداء (نظارة ذهنية ثاقبة).

في التطبيق الأول: ألا توافق أن المشكلة أعمق من تعاطي الابن للدخان، وأنها تتمثل بحدوث تغير فكري لدى ذلك الابن، تمخضت عنه رؤية القبيح حسناً؟

وفي التطبيق الثاني: ألا تعتقد أن المشكلة قد تكمن في معاملة مدير القسم القاسية لذلك الموظف، أو لعدم وجود الحوافز في القسم كما هي في الأقسام الأخرى، أو غير ذلك من المشاكل التي توجد داخل القسم نفسه!!

وفي التطبيق الثالث:... ألم تسأل نفسك بدءاً عن مدى وجود هذه المشكلة أصلاً... لو قمت بقياس الخطيين لاكتشفت أنه ليس هناك مشكلة... فالخطان متساويان! ألا زلت توافق المعلم؟

ترى كم من المشاكل المتوهمة استهلكتنا فكرياً واستنزفتنا مادياً ونفسياً؟

حواسنا تمارس خداعاً:

إن التطبيق الثالث يبين لنا أن حواسنا قد تمارس خداعاً لنا؛ فكل من يرى بعينه المجردة الخطيين السابقين فإنه يعتقد أن الثاني أطول من الأول! وهذا ما يؤكد على أهمية التفطن لمثل هذا الخداع من جهة، وعلى أهمية التأكد من مدى وجود المشكلة التي تعتني بالتفكير في إيجاد حل لها.

حاول أن تقرأ الجملة التالية بصوت مسموع:

عند التفكير في مشكلة معينة يجب أن نتأكد

من من مدى وجودها فعلاً قبل المضي في إيجاد حل لها.

هل لاحظت تكرار من؟ هل قرأت (من) من مدى..؟ أم أنك اكتفيت بمن واحدة؟

من الطبيعي أن تكتفي بواحدة؛ ذلك أن رؤية عينك تتأثر بما تفكر به... فأنت لم تتعود على تكرار حرف الجر مثلاً... و (لا وعيك) يوحى إلى عينك بعدم إمكانية مثل ذلك التكرار..

وربما لا نستطيع أن نتغلب دائماً وبشكل تام على مثل هذا الخداع، غير أننا نستطيع أن نقلل من تأثيره من خلال:

* الاعتماد على أكثر من حاسة؛ فمثلاً يمكننا استخدام العين لإبصار شيء معين والأنف لشمه في آن..

* عدم الاعتماد على ما تمليه علينا حواسنا فقط، فمثلاً يمكننا القياس الكمي للشيء...

* جعل العقل مفتوحاً بحيث لا نستبعد شيئاً..

* التركيز الشديد...

(ب) تحديد أسباب المشكلة:

وبعد تحديد المشكلة بدقة وصياغتها بعناية، يجب تحديد الأسباب التي أوجدتها؛ ويفضل تصنيف تلك الأسباب وتقسيمها وفق اعتبارات معينة مع ترتيبها وفق أهميتها، فمن هذه التصنيفات ما يلي:

* أسباب رئيسية وأخرى فرعية.

* أسباب داخلية وأخرى خارجية.

* أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة.

* أسباب مادية وأخرى معنوية.

من الأخطاء الشائعة عند التفكير في الأسباب الاعتقاد بأن هناك سبباً واحداً لكل مشكلة، في الوقت الذي يكون فيه هناك أكثر من سبب. فتجد بعض الناس عندما يسألك عن مشكلة انحراف الأحداث مثلاً فإنه يقول

لك: ما السبب في انحراف الأحداث؟ وهو ينتظر منك أن توقعه على سبب واحد، ولذا تجده يتبرم إذا فصلت في الأسباب، وربما ينفجر إذا أوصلتها إلى أربعة أو خمسة، أو قمت بتصنيفها! (6) إن أولئك يوقفون مشاكل بحجم الفيل على رأس دبوس.. إن تلك الظاهرة التي يمكن تسميتها بظاهرة (دبوس الفيل) تنتشر عادة في البيئات الثقافية الضحلة، ذلك أن الضحالة؛ تحجب عن أصحابها بعض جوانب الموضوع وربما أهم زوايا التفكير!! وبهذه الظاهرة أضحت القضايا الكبيرة عند أولئك مجرد (بالونات منفخة) تفتقر فقط إلى ذلك (الدبوس)!

2 - تحديد الهدف من حل المشكلة:

لماذا تفكر في تلك المشكلة دون غيرها؟
قد تقودك الإجابة أحياناً إلى الامتناع عن البدء أو الاستمرار في التفكير في المشكلة عندما تشعر أن الأهداف التي يمكن تحقيقها بعد حل المشكلة لا تستحق ما سيبدل في سبيلها من جهد وعطاء..، وتفيد هذه الخطوة إذا عزمت على البدء أو الاستمرار في التفكير في مشكلة معينة:
* في إضاعة الطريق الذي يجب أن تسلكه لحل المشكلة.

* وفي المساعدة في تحديد كافة البدائل.

* وفي اختيار أفضل البدائل الممكنة؛ وذلك أنها تعد معياراً موضوعياً للاختيار؛ فالبديل المناسب هو الذي يحقق الأهداف على أفضل وجه كما وكيفاً.

ومن أجل اختيار موضوعي للبديل المناسب، يجب أن:

* ترتب الأهداف طبقاً لأهميتها.

* تعطي لكل هدف وزناً خاصاً (تقييم الأهداف).

مثال: أحص أهدافك تكن موضوعياً أكثر!

بافتراض أن هناك ثلاثة أهداف وبديلين، وتوفرت المعلومات الآتية:

الهدف الوزن

الأول 5 نقاط

الثاني 3 نقاط

الثالث نقطتان

البديل الأول يحقق الهدفين الثاني والثالث، في حين أن البديل الثاني يحقق الهدفين الأول والثالث.

— مجموع النقاط التي يحققها البديل الأول = 2 + 3 = 5.

— مجموع النقاط التي يحققها البديل الثاني = 2 + 5 = 7.

البديل الذي يجب اختياره هو الثاني.

قد تقول إننا لا نستطيع دائماً أن نعطي أهدافنا أوزاناً معينة؛ وهذا صحيح، ولكن لا أظنك تدعي عدم استطاعتنا ترتيبها وفق أهميتها، وهذا قد يكفي كمعيار للاختيار في مثل تلك الحالات.

3 - تحديد البدائل الممكنة:

عند التفكير في البدائل الممكنة يجب اصطحاب الأهداف وتذكرها؛ لأن ذلك معين على توليد البدائل من جهة، وعلى استيعاب كافة البدائل الممكنة من جهة أخرى.

اشتكى المستأجرون لصاحب العمارة ببطء المصاعد في العمارة، وهددوا بالخروج ما لم يتم استبدالها! خشي صاحب العمارة أن ينفذ المستأجرون تهديدهم فيخسر ما يدفعونه من إيجارات مرتفعة، فكاد أن يتخذ قراراً بالاستبدال! فاقترح البعض أن يخفض شيئاً من الإيجار نظير بطء المصاعد، وأشار عليه البعض بتركيب مرايا في كل طابق عند كل مصعد! في حين بارك الأغلبية قرار الاستبدال وشجعه على الإسراع لئلا يخسر!
ما رأيك بهذه البدائل؟ قد يبدو لك أن بعضها غريب وساذج في آن.. أليس كذلك؟

في هذه الخطوة يجب تسجيل كافة البدائل الممكنة التي تخطر على بالك، حتى تلك التي قد تبدو لك معالم سذاجتها ومواطن سطحياتها ونقاط ضعفها! لماذا؟

* لأن هذه الخطوة تركز فقط على تسجيل كافة البدائل الممكنة.

* لأنك قد تكتشف أو يكتشف غيرك ممن يشاركك التفكير أن البديل الناضج هو ذلك البديل الذي سبق اعتباره ساذجاً!
تعد تقنية (العاصفة الذهنية) من التقنيات الجيدة والطرق الناجحة والمجربة في توليد البدائل. (سيأتي تفصيلها إن شاء الله - تعالى - لاحقاً في الحلقة القادمة).

4 - اختيار أفضل البدائل ومتابعة تنفيذها:

يجب إخضاع البدائل التي تم تحديدها لدراسة علمية موضوعية يتمخض عنها تحديد البديل المناسب، من خلال تحديد البديل الذي يحقق الأهداف على أفضل وجه كماً وكيفاً. بمعنى أن هذه الخطوة تعادي نظرية: (أنا لا أرتاح نفسياً لهذا البديل) واضطرابها!!

في الحالة السابقة اقتنع صاحب العمارة بضرورة عرض المشكلة على مكتب استشاري، فقام المكتب بدراستها وأوصى بتركيب المرايا؛ لأن الدراسة أثبتت أن المصاعد جيدة وليست بطيئة، وتوصلت إلى أن السبب في تبرم المستأجرين يعود إلى عدم وجود ما ينشغلون به أثناء انتظارهم للمصعد، ومن هنا جاءت فكرة تركيب المرايا لكي ينشغل كل واحد منهم بهندامه ريثما يأتيه (الفرج)!!

أثبتت الدراسة أن بطء المصاعد ليس المشكلة الحقيقية.. إذاً ما هي تلك المشكلة من وجهة نظرك؟ أرجو أن تكون قد أدركت قدر المبالغ التي وفرها ذلك البديل (السادج!) على صاحب العمارة ترى كم من المبالغ والجهود ننفقها في بدائل فاشلة؟

وكم من الأفكار العظيمة اعتبرناها ساذجة وفيها الدواء!

ويجب أن تتضمن هذه الخطوة متابعة تنفيذ البديل وذلك باستشراف المستقبل وما ينطوي عليه من عقبات وصعوبات، تمهيداً لرسم البرنامج العملي اللازم لتجاوزها وتلافيها.

(ب) التفكير في مشروع معين:

يقصد بالمشروع (عمل يراد القيام به لتحقيق أهداف معينة). وقد يكون هذا المشروع خاصاً أو عاماً، عملياً أو ذهنياً، دنيوياً أو دينياً... أو خليطاً بين هذا وذاك.

ما هي الخطوات التي تعتقد أنه يجب اتباعها عند التفكير في مشروع معين؟

حدثني أحد أولئك الذين يفكرون علمياً أنه كان جالساً في مجلس شرع أحد الحاضرين فيه في عرض مشروع خيري، وقال ما مفاده:

أيها الإخوة... تعلمون أهمية مثل هذا المشروع للفقراء والمحاويج وعظم أجره عند الله - تعالى -، وهذا المشروع الخيري يتلخص في جمع تبرعات من المحسنين لتوزيعها على هؤلاء الفقراء... وقبل معرفة من سيشترك منكم في أعمال المشروع أود أن أتيح الفرصة للإضافة والتعقيب!

تجاذب الحاضرون أطراف الكلام وتدافعوها حتى ظفر صاحبي بطرف، فشكر المقدم واستحسن الفكرة واستجاد المشروع، غير أنه فاجأ الجميع بأن تحدث عن:

أولاً - أهمية تحديد الأهداف لهذا المشروع بدقة:

فالأهداف قد تكون خيرية فقط، أو خيرية دعوية، أو خيرية اجتماعية...

ثانياً: البدائل:

من جهة الزمن: يتم التوزيع مرة في السنة، مرتين، ثلاث..

ومن جهة النطاق الجغرافي للمشروع: يغطي المشروع حياً واحداً، اثنين، ثلاثة... كافة الأحياء في المدينة. ومن جهة طريقة التوزيع: توزيع نقدي، أو عيني، أو نقدي عيني.

ومن جهة الإشراف الإداري...

ومن جهة.....

ثالثاً: يجب بعد تحديد البدائل والموازنة بينها، واختيار أفضلها في ضوء الأهداف المحددة.

لم يحتج صاحبي إلى ساعات طويلة ولا إلى جهد كبير من أجل بلورة أفكاره التي استجدها الحاضرون.. لماذا؟ لأنه عود نفسه على التفكير بطريقة علمية.

إذاً فالخطوات التي تتبع في حالة التفكير في مشروع معين هي ذاتها التي تتبع في حالة التفكير في مشكلة معينة باستثناء الخطوة الأولى، وعليه تكون الخطوات هي:

1- تحديد الأهداف التي يجب أن يحققها المشروع.

2- تحديد البدائل الممكنة.

3- اختيار أفضل البدائل ومتابعة تنفيذه.

وحيث إنه سبق تناول هذه الخطوات بتفصيل لا يسوغ الإعادة، فإنني سأعرض للنقاط التي لها تعلق أكبر في التفكير في مشروع معين عبر ما يلي:

كيف تحدد أهدافك؟

بدءاً يجب التأكيد على أن نقطة الانطلاق في التفكير في مشروع معين هي الاقتناع بالأهداف التي يمكن تحقيقها من خلال هذا المشروع.

وثمة اعتبارات علمية ينبغي مراعاتها عند تحديد الأهداف لمشروع معين، يمكن تلخيصها فيما يلي(7):

1- أن تحدد الأهداف بدقة ووضوح؛ بحيث تُفهم من قِبَل الجميع فهماً واحداً.

2- تناسق الأهداف وتكاملها وعدم تعارضها.

3- واقعية الأهداف، وذلك بإمكانية تحقيقها، وهذه الواقعية على مستويين هما:

(أ) على مستوى كل هدف على حدة، وذلك بكونه ممكن التحقق.

(ب) على مستوى الأهداف مجتمعة، وذلك بكونها ممكنة التحقق في وقت واحد.

4- صياغة الأهداف بشكل قابل للقياس من أجل تحديد نسبة النجاح في تحقيقها، وذلك بربطها بأمر أو أكثر من الأمور التالية:

(1) الزمن: توزيع المواد العينية على الفقراء في بداية كل شهر.

(ب) الكمية: إعطاء كل فقير ثلاثة أكياس من الأرز.

(ج) التكلفة: يجب ألا تزيد قيمة المواد الموزعة على كل فقير عن مبلغ 3000 ريال.

5- ترتيب الأهداف بحسب أهميتها.

6- أن تكون الأهداف من نوع واحد، فإما أن تكون رئيسية (استراتيجية أو نهائية) أو فرعية (تكتيكية أو مرحلية)، وذلك أن النوع الأول يتضمن الثاني.

ومن الأمور التي يُعين علي صياغة الأهداف وتحقيقها ومتابعة ذلك التحقيق أن تقسم وتصنف اعتماداً على أساس أو آخر، فمثلاً يمكن تقسيمها:

* من حيث النوع: إلى أهداف رئيسة وأهداف مرحلية.

* من حيث الزمن: إلى أهداف طويلة الأجل (5 - 10 سنوات) ومتوسطة الأجل (1 - 5 سنوات) وقصيرة الأجل (أقل من سنة).
أقدم إلى حيث يحجم الآخرون!:

لا يكن إخفاق غيرك في تنفيذ مشروع تضافرت أسباب اقتناعك به صارفاً لك عن محاولة إيجاد آليّة تمكن من تنفيذه على نحو يوصلك إلى تحقيق أهدافك.. لتتصف بالشجاعة الذهنية... فكم من المشاريع الرائعة حكم عليها البعض بالإخفاق لأن عبقرياً أو (متعبقراً) أخفق في إنجازها!!

فما لبثت أن انتشلها شجاع اقتنع بها ثم فكر.. ثم استشار.. ثم نفذ.
ألا يمكنك أن تكون شجاعاً ولو مرة في حياتك؟!!

ولا إخالك إلا مفرقاً بين (الشجاعة الذهنية) و(التهور الذهني)!!

تطبيقات عملية:

قبل التعرض لموضوع التفكير الإبداعي - في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى - أرجو أن تفكر بشكل جاد ومتكامل ومكتوب في التطبيقات التي سأوردها لضمان الاستفادة وترسيخ الفهم.

التطبيق الأول:

لاحظت إدارة شركة رائدة في الإنتاج الحيواني زيادة غير عادية في استهلاك إطارات الشاحنات التي تستخدمها الشركة في تسويق منتجاتها، وبعد البحث والتحري عن سبب مثل هذه الزيادة تبين للإدارة أن سائقي الشاحنات يقومون ببيع الإطارات في السوق، ومن ثم استبدالها بأخرى جديدة والادعاء بأنها تلفت.

بافتراض أنك إداري فاعل في تلك الشركة. فكر في المشكلة السابقة إبداعياً وحدد البديل الذي تراه مناسباً وكافياً لكي نخلع عليك لقب مبدع.

التطبيق الثاني: أمامك الشكل التالي:

5 5 5@@

5 5 5

5 5 5

المطلوب أن توصل بين هذه الدوائر بخطوط، بالشروط الآتية:

- أن يكون عدد الخطوط أربعة.

- أن تكون مستقيمة.

- ألا ترفع قلمك عن الورقة وألا تعيد الخط مرتين(8).

الهوامش :

(1) د. سيد الهواري، الإدارة - الأصول والأسس العلمية، ص457.

(2) د. عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ص39.

(3، 4، 5) هذه الأمثلة التطبيقية الثلاثة، تحدث عنها الكاتب في الحلقة السابقة . (البيان) .

(6) هاي روتشليس، التفكير الواضح، ترجمة لطيف دوس، ص32.

(7) عبد الله البريدي، نظرات في التربية في الأهداف، مجلة البيان، العدد 122، شوال 1418هـ.

(8) TOM VERBERNE , CREATIV FITNESS , TRAIING & PEVELOPMENT , 1997, P.69-70 .

التفكير العلمي والإبداعي..

كيف تكون مبدعاً؟

(3/3)

عبد الله بن عبد الرحمن البريدي

تناول الكاتب في الحلقتين الماضيتين مقدمات عامة حول ماهية التفكير، وآليته، وخصائصه، ومنهج التفكير العلمي الذي أفرد فيه حالات محدودة للتفكير مثل: حل مشكلة معينة، والتفكير في مشروع معين...

ويواصل في هذه الحلقة إيضاح جوانب أخرى للموضوع..

-البيان-

ماهية التفكير الإبداعي:

الإبداع في اللغة يعني الإنشاء على غير مثال سابق، والبديع هو المبدع والمبدع، قال - تعالى - في محكم التنزيل: ((بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)) [البقرة: 117]، واستبدعه: عده بديعاً(1).

أما من الناحية العلمية، فلعلي أقفز - كما سبق في مقال سابق - إلى التعريف الذي ارتأيته؛ متجاوزاً بذلك إشكالية التعريف التي لا تهم القارئ كثيراً، وهذا التعريف هو:

(عملية ذهنية مصحوبة بتوتر وانفعال صادق ينظم بها العقل خبرات الإنسان ومعلوماته بطريقة خلاقة تمكنه من الوصول إلى جديد مفيد)(2).

أهمية التفكير الإبداعي:

ها هي البشرية جمعاء ترفل بصور من النعم، وأشكال من الترفيه، وألوان من التيسير، تفضل بها المولى - عز وجل - وقضى - بحكمته البالغة - بجعل الإبداع وسيلة فاعلة يمتطيها المبدعون ليسهموا في بلورة أفكارهم نظرياً، وفي إنجازها واقعياً.

ومن هنا تنبثق أهمية التفكير الإبداعي من كونه بعد توفيق الله - تعالى :-

* قناة أكيدة إلى جزر الاكتشافات الجديدة. * ومعبراً مضيئاً إلى النجاح والتفوق.

* ومنفذاً قاصداً إلى تحقيق أهدافنا بكفاءة وسرعة.

* وسبيلاً ذكياً إلى التجديد الذي يزهق روح الملل ويريق دم السامة!!

جوهر الإبداع:

على الرغم من أن هناك اعترافاً بين علماء الإبداع على أنه نوع من أنواع النشاط العقلي، إلا أنهم اختلفوا في طرق معالجته وتحديدته وقياسه، بمعنى أنهم اختلفوا في الإجابة عن السؤال: متى نحكم لعمل أو لشخص بالإبداع؟ كما أنهم اختلفوا في جوهر الإبداع على النحو الآتي:

أ - منهم من تناول الإبداع على أنه مجموعة من الخطوات تبدأ بتلمس المشكلة وتنتهي بإشراق الحل والتحقق منه، فمن طبق تلك الخطوات فقد مارس عملاً إبداعياً!! (منهم: والاس، ماسلو، عبدالغفار).

ب - ومنهم من جعل محور الإبداع هو الناتج الإبداعي وحدد مجموعة من الصفات كالجدة وعدم الشيعو والقيمة الاجتماعية، وجعل توافرها دليلاً على الإبداع بغض النظر عن شخصية القائم بالعمل!! (منهم: روكيرس، ستن).

ج - وبعضهم ركز على مجموعة من الخصائص العقلية وغير العقلية وجعل تلبس البعض بها دليلاً على إبداعه، سواء أبداع واقعاً أم لم يبداع!! (منهم: جيلفورد، تورانس)(3).

إذاً فالأول يعتني بالخطوات الإبداعية، والثاني بالناتج الإبداعي، والثالث بالشخصية الإبداعية. ومن هنا فلعله من الواضح أن كل رأي منها يعجز عن تفسير ظاهرة الإبداع، ذلك أنه يعالج ضلعاً واحداً من أضلاع المثلث الإبداعي، ومن ثم فالرأي السديد - في نظري - يتمثل في الأخذ بهذه الآراء مجتمعة على نحو ما سيجري تفصيله.

منهج التفكير الإبداعي:

كاد أن يقتتل الناس من أجل إخراج (طائر الكروان) الذي احتبس في حفرة رأسية في جدار سميك.. فأحضر أحدهم عوداً وبدأ بإدخاله وتحريكه داخل الحفرة حتى كاد - باجتهاده - أن يقتله! والآخر - بإخلاصه - حاول أن يدخل يده الطويلة لعله يمسك به، ولكن بلا جدوى، وبعضهم اقترح تخويله بالأصوات المزعجة عله أن ينهض! كل ذلك وطفل في الرابعة عشرة من عمره كان يرقب الموقف وتبدو عليه آثار توتر التفكير وانفعال البحث.. وفجأة يصرخ وجدتها! ما رأيكم لو بدأنا بسكب كمية من الرمل في الحفرة بصورة تدريجية.. إنه الإبداع، أليس كذلك؟!

قد تبدو لك هذه القصة بسيطة، وبالفعل هي كذلك، غير أنني أريد أن تفهم أن المقصود منها فقط هو تسهيل عرض منهج التفكير الإبداعي الذي أراه بعد أن تم استيعاب نظريات الإبداع، واستقراء آراء الباحثين.

ما الخطوات التي يجب اتباعها لتكون مبدعين؟!

التفكير الإبداعي ينتظم نفس الخطوات التي يمر بها التفكير العلمي ولكن على نحو فذ؛ فذلك الطفل حدد المشكلة بدقة وتعرف على أسبابها، وعرف على وجه الدقة ما يريد، وفكر في مجموعة من البدائل، وخلص أخيراً إلى البديل الإبداعي، بيد أن المبدع دائماً ما يتفاعل بإخلاص مع ما يفكر به لدرجة يكون معها:

* معايشاً لأجزاء الفكرة ومفرداتها، مستظلاً تحت شجرتها وأغصانها، ومتأملًا ثمارها وأشواكها. ومن ثم فإنه يصل إلى درجة من النضج التفكيرى يصبح معها:

** قادراً على المرور بهذه الخطوات بكل سرعة وكفاءة. ** مرناً في تطبيقها.

** متوثباً صوب الفكرة الإبداعية (الجديدة) إلى حد تطرد معه الأفكار الأخرى إذا ما لاحت في أفق تفكيره، بمعنى أن ما يعايشه المبدع من توتر وانفعال إزاء الفكرة يجعله يدمج الخطوتين الثالثة والرابعة (تحديد البدائل الممكنة، واختيار أفضلها) في خطوة واحدة؛ فهو يفكر بطريقة خلاقة في بدائل كثيرة، غير أن إبداعه يمكنه من القضاء على الأفكار الهزيلة ليسير على جثتها صوب البديل الإبداعي.

** محتضناً البديل الإبداعي في (رحم فكري)، متعاهداً إياه بكل ما ينميه ويغذيه.

** فاحصاً للفكرة المنبثقة من ذلك الرحم، ليحدد أخيراً مدى صحتها نظرياً وجدواها عملياً(4).

أسئلة تعينك على الإبداع:

ثمة أسئلة تعين على الإبداع، يمكن لكل واحد منا توجيهها لنفسه ومن ثم محاولة تلمس إجابة لها، وليس هناك أسئلة نمطية تصلح في كل الأحوال، وإنما يجب اختيار الأسئلة التي تناسب المشكلة محل التفكير. فعلى سبيل المثال يمكنك في مرحلة توليد الأفكار توجيه الأسئلة الآتية:

* ماذا لو فعلت أو لم أفعل كذا.....؟ * لمَ لا أفعل كذا.....؟

* هل أغير زاوية التفكير (أفكر رأساً على عقب)؟ * ما هي الافتراضات التي يمكن تجاوزها؟

وعند تقييم الأفكار يمكنك توجيه الأسئلة التالية:

* هل هذه فكرة جيدة؟ * هل نستطيع تنفيذها؟

* هل الوقت مناسب لتنفيذها؟
 * ما هي النتائج التي يمكن أن تترتب في حالة إخفاقها؟
 إن كثيراً من المبدعين لم يصلوا إلى درجة الإبداع إلا بعد أن تخطوا عقبة الأسئلة (التقليدية)، ذلك أن الإجابة التي تتبلور في أذهاننا إنما تتشكل بحسب السؤال؟(5).

من هو المبدع وما خصائصه؟

إن المبدع إنسان كغيره... غير أنه وعاء مملوء بانفعالات صادقة، تأتيه من كل صوب، من قراءاته، تأملاته، ملاحظاته، احتكاكاته، اهتماماته، ومغامراته.. فينفذ ما قرأه وما سمعه وما شاهده وما وعاه، ليتخفف من وطأة الانفعالات، ومن ازدحام عقله بالرؤى(6).
 ثمة خصائص كثيرة يذكرها باحثو الإبداع، غير أن من أهمها في نظري ما يلي:

1 - الخصائص العقلية:

أ - الحساسية في تلمس المشكلات: يمتاز المبدع بأنه يدرك المشكلات في المواقف المختلفة أكثر من غيره، فقد يتلمس أكثر من مشكلة تلج على بحث عن حل لها، في حين يرى الآخرون أن (كل شيء على ما يرام)!!، أو يتلمسون مشكلة دون الأخريات.
 ب - الطلاقة: وتتمثل في القدرة على استدعاء أكبر عدد ممكن من الأفكار في فترة زمنية قصيرة نسبياً. وازدياد تلك القدرة يزداد الإبداع وتنمو شجرته. وهذه الطلاقة تنتظم:
 ** الطلاقة الفكرية: سرعة إنتاج وبلورة عدد كبير من الأفكار.
 ** طلاقة الكلمات: سرعة إنتاج الكلمات والوحدات التعبيرية واستحضارها بصورة تدعم التفكير.

** طلاقة التعبير: سهولة التعبير عن الأفكار وصياغتها في قالب مفهوم.
 ج - المرونة: وتعني القدرة على تغيير زوايا التفكير (من الأعلى إلى الأسفل والعكس، ومن اليمين إلى اليسار والعكس، ومن الداخل إلى الخارج والعكس، وهكذا) من أجل توليد الأفكار، عبر التخلص من (القيود الذهنية المتوهمة) (المرونة التلقائية)، أو من خلال إعادة بناء أجزاء المشكلة (المرونة التكييفية).

فمثلاً باستنتاج قصة الكروان، نجد أن أكثر الناس كانوا يفكرون: من أعلى إلى أسفل _____ كيف نمسك بالطائر من أعلى؟ ذلك أنهم كانوا يعتقدون بأن الحل يكمن في إيجاد وسيلة معينة يتم استخدامها من جانبهم (الأعلى) وإنزالها إلى الطائر (الأسفل)، وهذه زاوية تفكير جيدة قد تنجح، ولكن الخطورة تكمن في الجمود عليها وعدم التماس زوايا أخرى!!.

بينما وجدنا الطفل المبدع يفكر من زاوية أخرى - مع الزاوية الأولى -: من أسفل إلى أعلى _____ ماذا لو جعلنا الطائر يرتفع من جانبه لكي تتمكن من الإمساك به!! وفعلاً.. جاءت فكرة سكب الرمل بكميات قليلة من الجهات المختلفة للحفرة لكي يرتفع الطائر شيئاً فشيئاً. ويسمي البعض هذا اللون من التفكير بـ (التفكير رأساً على عقب).

د - الأصالة: وتعني القدرة على إنتاج الأفكار الجديدة - على منتجها - بشرط كونها مفيدة وعملية.
 هذه الخصائص الأربع حددها جلفورد، وتشكل هذه الخصائص بمجموعها ما يسمى بالتفكير المنطلق (المتشعب)، وهو استنتاج حلول متعددة قد تكون صحيحة من معلومات معينة وهذا اللون من التفكير يستخدمه المبدع أكثر من التفكير المحدد (التقاربي) وهو استنتاج حل واحد صحيح من معلومات معينة.

هـ - الذكاء: أثبت العديد من الدراسات أن الذكاء المرتفع ليس شرطاً للإبداع، وإنما يكفي الذكاء العادي لإنتاج الإبداع(7).

2 - الخصائص النفسية:

يمتاز المبدع نفسياً بما يلي:

أ - الثقة بالنفس والاعتداد بقدراتها. ب - قوة العزيمة ومضاء الإرادة وحب المغامرة.
 ج - القدرة العالية على تحمل المسؤوليات. د - تعدد الميول والاهتمامات.
 هـ - عدم التعصب.
 و - الميل إلى الانفراد في أداء بعض أعماله، مع خصائص اجتماعية وقدرة عالية على اكتساب الأصدقاء.
 ز - الانصاف بالمرح والأريحية. ح - القدرة على نقد الذات والتعرف على عيوبها(8).

خصائص متفرقة:

أ - حب الاستكشاف والاستطلاع بالقراءة والملاحظة والتأمل.

ب - الميل إلى النقاش الهادئ.

ج - الإيمان غالباً بأنه في (الإمكان أبداع مما كان).

د - دائم التغلب على (العائق الوحيد). (العائق الذي يتجدد ويتلون لصرفك عن الإنتاج والعطاء)(9).

هـ - البذل بإخلاص وتفان، وعدم التطلع إلى الوجاهة والنفوذ؛ بمعنى أن تأثره بالدافع الداخلي (كالرغبة في الإسهام والعطاء، تحقق الذات، لذة الاكتشاف، والانجذاب المعرفي ونحوها) أكثر من الدافع الخارجي (المال، الشهرة، المنصب ونحوها).

هل يلزم توافر هذه السمات جميعها في الإنسان حتى يكون مبدعاً؟ بالنسبة للخصائص العقلية يلزم توافرها كلها بدرجة معقولة، أما الخصائص الأخرى فيكفي أغلبها.. وأظنك الآن قادراً على تحديدها.

أفعال الإبداع:

تأبى بعض الأقفال الذهنية إلا أن تصد قطاعاً عريضاً من الناس عن ولوج باب الإبداع، ويرجع بعضها إلى البيئة الثقافية - بمفهومها العام - التي تنتظم العقائد والأخلاق، وتصوغ الأهداف والغايات، وتشكل طرائق التفكير وقيم الأداء؛ بينما يرجع بعضها الآخر إلى تراكمات نفسية خلفها سوء التربية الذاتية والانزمام في معركة بناء الذات والانطوائية!!

وهذه الأقفال في غاية المكر وقمة التلبيس في تعاملها معنا، فهي تعرف كيف تتلون بلون جذاب أخاذ، وتتدثر بثوب المخلص المشفق؛ وفوق هذا وذالك تخدرنا بأسلوب بليغ، فهي قد تقول لي أو لك:

* الإجابة الصحيحة * لست مبدعاً * لا أقحم نفسي في غير تخصصي * ألتزم القواعد.

* ليس من المنطق في شيء * كن عملياً * إياك والغموض * من الخطأ أن تخطئ.

وعقب هذا الإيحاء، تتشرب عقول بعضنا تلك الأقفال وتعض عليها بأضراس العقل، ونواجذ الفكر!!

ولعل استعراض تلك الأقفال التي حددها روقرفون Rogervon تعين على التخلص من شرورها:

1 - الإجابة الصحيحة:

من الأخطاء التعليمية التركيز على قضية الحفظ مع إغفال الفهم، فتنشأ مع الطفل عقدة (الحل الوحيد) أو (الإجابة الصحيحة)، ويعتقد أنه ليس ثمة حل أو إجابة أخرى، حتى لو كانت المسألة تحتل مائة حل أو إجابة!! ومن مظاهر ذلك في مؤسستنا التعليمية والتربوية شيوع الأسئلة التالية:

اذكر...؟ عدد...؟، عرف...؟، اسرد...؟....

وندره أو غياب بعض الأسئلة التالية: اشرح...؟، ما أوجه الاختلاف أو التشابه بين...؟، علق على العبارة التالية...، ما وجهة نظرك في...؟

إذاً من الأقفال الذهنية: اعتقادك بأنه ليس هناك إلا حل وحيد للمشكلة (أو الموضوع) محل التفكير التي قد تقبل أكثر من حل، فإذا ما تم التوصل إليه توقفت عن التفكير...!!

2 - لست مبدعاً:

من أشد الأقفال وأصلبها أن ننظر إلى أنفسنا نظرة ازدراء واحتقار، وأن نتمثل دائماً وأبداً بـ (رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه)!!، ولا يعني هذا

الدعوة إلى الغرور أو مجافاة التواضع، لا.. وإنما المقصود التأكيد على أهمية الثقة بالنفس كشرط رئيس لولوج باب الإبداع.. ولقد كشفت دراسة أن المبدعين يذكرون أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم بثقة لا بغرور!!

3 - لا أقحم نفسي:

كثيراً ما نسمع أحداً يقول: (هذا ليس من تخصصي!) أو (ليس من جملة اهتماماتي!) وأضرارها من عبارات الأقفال التي تصد عن الإبداع!! لماذا لا يفكر أحدنا عند تعطل سيارته؟! ألأننا لسنا ميكانيكيين؛ ألا يمكننا - وبخاصة عند تعذر وجود المختص - أن نحاول اكتشاف العطل؟

من الصعب أن تجد في عصرنا الحاضر المعقد مشكلة يمكن عزوها إلى تخصص أو فن واحد، ومن هنا فالمبدع لا يقف مكتوف الأيدي أمام أجزاء المشكلة التي تخرج عن الدائرة الضيقة للتخصص، وإنما يحاول التفكير فيها بغية الاهتمام إلى الحل المناسب، مع الرجوع إلى ذوي الاختصاص لاستفتائهم والإفادة من علمهم.

4 - التزم القواعد:

أقصد بالقواعد هنا الذهنية منها (طرائق التفكير والاستنتاج)، والتي يتم تشكيلها في أذهاننا عبر مرحلتين هما:

** أنها تبنى في البداية على أسباب منطقية ووجيهة.

** يدفعنا هذا إلى الاعتقاد بصحتها وبضرورة اتباعها.

ولكن بمرور الوقت قد تنتفي أسبابها ومن ثم تنعدم صحتها، غير أننا قد نستمر في احترامنا لها!!

5 - ليس من المنطق في شيء:

تعد القواعد المنطقية كالمقياس والاستدلال والتصنيف والتقسيم والترتيب من أهم وسائل التفكير، غير أن الإفراط في محاكمة الأفكار في مرحلة توليدها إلى تلك القواعد قد يعيق تدفقها ويعقد بلورتها؛ ذلك أنه قد تنتفي الأسس التي استقت منها القواعد المنطقية صحتها، أو يصدر المفكر في تلك المرحلة حكماً خاطئاً بسبب (العجلة الذهنية)... إذاً لا تغال عند توليد أفكارك في محاكمتها إلى القواعد المنطقية، ورحل تلك المحاكمة إلى مرحلة تقييم الأفكار، استعن بالله وانزع قفل المغالاة المنطقية!

6 - كن عملياً:

عقدة (البديل العملي) قد تمارس أحياناً نشاطاً تدميراً لمصنع بناء الأفكار، ألم تطرح أنت - أو غيرك - بديلاً جويته بعد فراغك منه بـ: يا أخي (كن عملياً)!!... وبعد فترة طالت أم قصرت تبين أن بديلك هو البديل العملي؟

سؤال: (ماذا لو (: يمكنك التحليق في عالم الأفكار التي قد تبدو لك أو غيرك في الوهلة الأولى أنها غير عملية... فمثلاً يمكن لمدير العلاقات العامة الذي يريد تدعيم العلاقة مع الجمهور أن يسأل نفسه:

** ماذا لو قدمنا هدية جذابة لكل واحد منهم؟

** ماذا لو فتحنا المجال للتدرب على أعمالنا للمتخرجين حديثاً ومنحناهم شهادات تدرب؟

** ماذا لو احتفظنا بمعلومات كاملة عن أهم عملائنا في جهاز الحاسب الآلي وصممنا برنامجاً Software يمددهم بما نريد من معلومات في فترات محددة عبر شبكة الإنترنت؟

** ماذا لو نظمنا رحلة اجتماعية لعملائنا الجدد؟

7 - إياك والغموض:

قد يخيفك الغموض من التجول في شوارع الفكرة المظلمة وحدائقها المرعبة وأسواقها المكتظة، أو في مطاعمها البائسة... أليس كذلك؟! قد يبدو لك غموض كثيف يلف الفكرة الإبداعية بدار مخيف، ويحيطها بسياج منيع... فإذا لم تستجمع قواك حينئذ وتستحث شجاعتك وتستعين بالله - تعالى - قبل أي شيء وبعده على ذلك المارد الغامض فقد يفوتك الإبداع، وتعتل بالجمود!!

8 - من الخطأ أن تخطئ:

ليس ثمة طريق يوصل للإبداع إذا كان الإنسان يخاف من الخطأ، وبعده (ذنباً ذهنياً) يجب أن يترفع عنه، أو يعتقد أنه (منقصة عقلية) قد يُنال منه بسببها... إن التحرر من هذا القفل:

* يتيح لك الاستفادة من الأفكار التي كنت تعتقد بخطئها، ولكن بالتجربة والتحقق ثبتت صحتها.

* يجعلك أكثر انطلافاً في التفكير؛ وذلك أن الفكرة التي تعتقد بخطئها دون التأكد من ذلك تظل عالقة في اللاوعي، وتعرض لك بين الوقت والآخر مما يعيق عملية توليد الأفكار لديك.

لمريدي الإبداع فقط:

ثلاث خطوات فقط وبلا حشو توصلك إلى الإبداع هي - بعد الاستعانة بالله :-

1 - الثقة بالنفس وحسن التعامل معها، والتعايش الصادق والاستغراق الهادئ في ما تفكر به.

2 - نزع الأقفال الذهنية وجعل التفكير مفتوحاً.

3 - إدراك آلية التفكير الإبداعي وخطواته والتعامل معها بمرونة.

صناعة الإبداع:

هل ثمة طريق تتوصل به المجتمعات الإنسانية إلى إيجاد مناخ فكري تُعرس فيه شجرة الإبداع وتُصنع فيه منتجاته؟

بكل جزم: نعم... ذلك أن الإبداع ظاهرة إنسانية اندمجت أسباب عقدية وثقافية ونفسية فكونت إطاراً - يستعصي على التجزئة - أسهم في إنتاج تلك الظاهرة وفي تشكيلها، ومن ثم ندرك أن الإبداع نتيجة يمكن الظفر بها متى توافرت وتضافرت أسبابها. وبنظرة خاطفة إلى المجتمعات الإنسانية نتلمس سر نجاح بعضها في صناعة الإبداع في عقول أفرادها على نحو ممكنها من النهوض الحضاري.

لقد استطاع اليابانيون مثلاً أن يحدثوا انقلاباً إبداعياً تمكنت به شركة يابانية أن تلتزم باختراع جهاز كل أسبوع، حتى ولو لم يتم تسويق منتجاتها في بعض الأسابيع بالصورة المطلوبة!! قد تنساءل: لماذا لا ينتظرون حتى يتم تسويق المنتجات التي تم عرضها بشكل جيد، ثم يقومون بعد ذلك بإنزال المنتج الجديد؟!

إنهم لا يفعلون ذلك؛ لأنهم يجزمون بأنهم لو تأخروا يوماً واحداً أو أقل من ذلك فإن شركة أخرى ستقوم بالمهمة وبذلك يخسرون...! ترى ماذا يخسرون؟!

وبالتفاته عاجلة إلى المجتمعات المسلمة نشعر بـ (دوار حضاري)، ونستنشق تقليدية مقينة، تستوجب الإسراع في صناعة سفينة الإبداع لتبحر في ذلك الخضم صوب بلاد ما وراء التقليد في طريقها إلى جزر الاكتشافات العلمية والتقنية، ولا سيما أنها تملك الإطار العقدي والقيمي الصحيح الذي يحث على العمل المبدع المخلص، ويجل حملة لوائه ورافعي رايته، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه) [حديث حسن، صحيح الجامع 1880].

وتتأكد أهمية اقتناء سفينة إبداع للعاملين في الحقول الإسلامية في هذا الوقت بالذات، الذي تكالبت فيه العوائق والصعوبات، وتفاقت فيه الانشطارات والانقسامات، وشحت فيه الموارد والمساعدات. والتفكير العلمي والإبداعي يضمن بالإخلاص والمتابعة التغلب على تلك المشاكل والأزمات، ويرسم طريقاً تعرف فيه الأولويات، وترسخ به الثوابت، وتميز به الصفوف، وتلتحم به العلاقات، وينهض به العمل الإسلامي، وتطيب ثماره، وتدار مشاريعه ومؤسساته، وتستكشف آفاقه ومجالاته.

وفيما يلي أهم المواد التي تسهم في صناعة سفينة الإبداع بشرط الالتزام بمصدر التلقي كتاباً وسنة وبعد توفيق الله - تعالى - وعونه:

1- الإيمان بأهمية صنع البيئة الإبداعية وإمكانيتها، وبضرورة إثباته من قوله - تعالى -: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقَوْمٌ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا يَنْفُسِهِمْ)) [الرعد: 11]، الأمر الذي يحتم إحداث (انقلاب فكري) في العقل المسلم

الجمعي والفردى على حد سواء، ينشأ معه انجذاب صادق للمعرفة لا للمعرفة ذاتها، ولا لتحصيل لذة عقلية، ولا للظفر بشهرة علمية، ولا لتحقيق رغبة دنيوية، وإنما هو انجذاب للمعرفة بقصد تطوير الذات وبنائها، لا للتطوير ولا للبناء ذاتهما أيضاً... وإنما للإبداع وللنهوض وللنماء وللعطاء.. المراد به وجه الله - تعالى -.

2- الإشاعة في العقل المسلم والإيحاء في ذاته أن (الإبداع عادة) تكتسب بشيء من البذل في تعلم وسائلها، والتلبس في خصائصها، والتدرب على تطبيقاتها.

3- تكيف العملية التعليمية والتربوية بما يجعلها دافعاً للإبداع ومحضناً للمبدعين، ومثل هذا التكيف يستلزم بالضرورة إعادة النظر في الأهداف التربوية، ومن ثم في وسائلها وبرامجها، بمعنى أنه يجب أن يكون إكساب المترين طرائق التفكير العلمي والإبداعي من الأهداف الأساسية.

4- صياغة شعارات جذابة ترسخ أهمية الإبداع وتبشر بنتائجه وتحتفي بكل متلبس به، والاجتهاد في بثها وإذابتها في النفوس وتفعيلها في العقول.

5- تنظيم دورات ودروس في التفكير العلمي والإبداعي لمختلف شرائح العمل الإسلامي.

6- ضرورة تلبس المربين والمعلمين بخصائص الإبداع - ولو تكلفاً - تجسيداً للقدوة الصالحة.

7- الاحتراف بالمبدعين وخاصة الأحداث منهم والاعتناء بهم وتقديرهم معنوياً ومادياً.

من تقنيات الإبداع الجماعي: العاصفة الذهنية(10):

هي طريقة تستخدم من أجل حفز الذهن لتوليد الأفكار (صممها أوسبورن في 1938م)، وتتلخص في طرح مشكلة معينة على مجموعة من الأفراد، يتولى إدارة تلك العاصفة واحد منهم يمتاز بأنه يستطيع:

* تهيئة المناخ المناسب لتوليد الأفكار.

* إثارة الآخرين لتقديم وعرض أفكارهم.

* الانتقال والربط بين أجزاء الموضوع المختلفة بشكل منطقي.

وتمر هذه العاصفة بالمراحل التالية:

أ - توضيح وتجزئة المشكلة: وذلك بتفتيتها إلى أجزاء ومطالبة المشتركين بالتفكير فيها.

ب - توليد وعرض الأفكار: وذلك بإتاحة الفرصة للمشاركين للانطلاق في توليد الأفكار، وفي هذه المرحلة ينبغي لمدير العاصفة الذهنية مراعاة ما يلي:

* عدم السماح لأحد بمهاجمة أفكار الآخرين أو الحكم عليها أو التعليق عليها إيجاباً أو سلباً.

* خلق مناخ يتقبل أي أفكار غريبة أو خيالية، وعدم إبداء أي نوع من السخرية تجاهها.

* التأكيد على أهمية توليد وعرض أكبر قدر ممكن من الأفكار.

* تسجيل الأفكار المطروحة بلا استثناء (يفضل تعيين أحد المشاركين للتسجيل).

ج - تقويم الأفكار المطروحة: وذلك بنقدها وتمحيصها وصولاً للفكرة المناسبة.

وتستغرق هذه العاصفة الذهنية عادة من 15 - 60 دقيقة بمتوسط 30 دقيقة، ويفضل أن يكون عدد المشاركين ما بين 5 - 7، ويجب ألا يزيد العدد عن 15 مشاركاً.

ويمكن استخدامها في المشكلات التي تتطلب حلولاً كثيرة كالمشكلات التجارية (مثل الإعلانات) والمشكلات التقنية (مثل كيفية استخدام الحاسب الآلي ومواصفاته) والمشكلات التربوية (مثل احتواء الشباب)، كما أنها أثبتت فعاليتها في مجالات البحث والتطوير &.

ولعله من المناسب في هذا السياق أن أشير - كدليل على أهمية الإبداع الجماعي لا سيما في المشكلات المعقدة - إلى أن اختراع (الترانزيستور) الذي أحدث ثورة إلكترونية ظهر كنتاج لإبداع جماعي... ولقد أكد عدد من المبدعين أن:

- (الجماعة تستوعب المشكلات أكثر).

- (لدى الجماعة تنمو ظروف الصياغة والإعداد المتكامل للمشكلات).

- (في إطار الجماعة تتسع دائرة الرؤية وتوزع المهام)... فهل نجتمع لنبدع؟!

وهذا لا يعني أن الإبداع يستحيل تحقيقه فيمثل تلك الحالات المعقدة إلا في إطار الجماعة، وإنما المقصود التأكيد على أهمية العمل الجماعي الإبداعي.

إبداع المدير... متى؟

إنه ليس ثمة شك في أن ما سبق من حديث عن الإبداع وجوانبه المختلفة يصلح للإنسان رجلاً وامرأة.. صغيراً وكبيراً.. مديراً ومداراً.. غير أن وظيفة المدير تنظم أعمالاً وأهدافاً ذات خصوصية وخطورة بالفتين تفرضان توجيه خطاب إبداعي خاص للمدير.. ومن هنا أقول:

إن المدير المبدع هو من يقود مؤسسته إلى النجاح - بعد توفيق الله -... ويتلمس المشكلات التي قد تفترس ذلك النجاح... إذاً فالمدير المبدع هو من يتعرف على أسباب النجاح وفنواته ويتكلف في امتطائها.. إن عوامل

النجاح في المؤسسات التجارية والتربوية والتعليمية تدور حول عوامل خمسة حث عليها الإسلام وورغب في استخدامها وتفعيلها في غير ما نص، وهذه العوامل هي:

1- الطاقم البشري: إن المدير المبدع يعرف كيف يستغل من تحته من الموظفين والعاملين، ويدرك مواهبهم وامتيانهم، ويفهم نفسياتهم ودوافعهم، ويحسن تشجيعهم ودفوعهم، ويتقن تحريض أفكارهم واستفزاز إبداعهم، ويضمن تفاعلهم مع بنك المؤسسة الخاص باقتراحات التطوير واستشراف المستقبل.. في عام 1991م تمكنت شركة توبوتا من توفير مناخ خاص لموظفيها وعمالها نتج عنه تقديم 2 مليون اقتراح في ذلك العام بمعدل 35 اقتراحاً لكل واحد منهم، وقد استفيد من 97% من تلك الاقتراحات.. فماذا عن مؤسساتنا واقتراحات؟! (11).

2- الوقت: يتصف المدير المبدع بالاستخدام الأمثل للوقت، ويعرف متى يجب أن يغير من الأساليب الإدارية والتنظيمية والنفسية، ويسرع في الاستجابة لطلبات العملاء، ويختار الوقت المناسب لإنزال المنتج الجديد، ويدرك أهمية الالتزام بالمواعيد..

3- الجودة: تشكل الجودة العالية قضية يوليها المدير المبدع اهتماماً كبيراً.. لا سيما في وقت اشتدت فيه المنافسة، واحتدم فيه البحث عن السلعة والخدمة ذات الجودة العالية في الجوهر والشكل والتصميم والحجم.

4- التكلفة: باتت إدارة التكاليف بغرض تخفيضها تشكل محوراً رئيساً لا في نجاح المؤسسات فقط، وإنما في قدرتها على البدء أو الاستمرار في العطاء.. ومن هنا فالمدبر المبدع هو من يستطيع إقناع الجميع بصورة بلورة برنامج (تقشفي) لتخفيض التكاليف، مع ضمان تفاعلهم عند تنفيذه في الواقع.

5- الابتكار (الإبداع): القدرة على الابتكار وحمل الآخرين عليه وتوفير مناخه صفة هامة يتمتع بها المدير المبدع، وعلامة تميزه عن (مدبر الجمود) و (رئيس التقليد).. إن المدير المبدع يدرك أهمية إقامة الدورات المتخصصة في الإبداع لموظفيه، ويعد الأموال المصروفة في ذلك استثماراً في أصول بشرية. أصبحت كثير من الشركات الكبرى مقتنعة بإمكانية وأهمية تعلم الإبداع، فشرية (جنرال إلكتريك) تفيد: (أن دورات الإبداع التي نظمتها لمديريها ومهندسيها أسفرت عن إدخال تحسينات جوهرية على بعض منتجاتها مثل جلايات الصحون وأدوات المطبخ، وشركة ميد تقول: (إن التدريب على الإبداع ساعدها كثيراً في تطوير نوع من الورق الناسخ الذي لا يحتاج إلى استخدام الكربون)(12).

تجالل المبدع على مجتمعه: بين الحقيقة والوهم:

يعتقد البعض أن المبدع لا بد أن تنطوي نظرتة إلى المجتمع بمنظوماته المختلفة (المدرسة، المصنع، الشركة... أو حتى المجتمع الكبير) على تحقير وازدراء، ينشأ معهما انكفاء على الذات قد يستحيل بعد فترة تطول أو تقصر إلى انطوائية تحمل بذرات عدائية، ويقول بعضهم: (بيدو لنا في كثير من الأحوال أن علاقة المبدع بواقعه لا تخلو من التوتر والصراع)(13)، كل هذا يحدث على حد هذا الاعتقاد بسبب:

* عدم تحقيق المجتمع للذات المبدعة وتهميش الأفكار غير المألوفة التي تنبثق منها ويتبنى المبدع الدعوة إليها أو طرحها.

* أو لسوء المعاملة من قبل أفراد أو مؤسسات المجتمع.

* أو لتخلف مناهج التفكير، أو للسطحية الثقافية.

ويخسر المجتمع من ثم ذلك المبدع وإنتاجه الخلاق.

ويتأمل ذلك الاعتقاد مع الاعتراف بوجود شيء من تلك الممارسات الجائرة التي يتعرض لها مبدع أو آخر، يتبين لنا مدى مجافاته للحقيقة وشططه عن الصواب وذلك:

* لأنه لم يبن على دراسة علمية أو استقراء شامل للمبدعين الحقيقيين.

* لأنه انبثق من بيئة عقدية وثقافية تصادم بينتنا العقدية والثقافية، كعبارة أرسطو: (إن المزاج السوداوي شرط لا بد منه للموهبة الخارقة)(14).

* إن المبدع الحقيقي هو من ينبثق من مجتمعه المسلم منتماً له، معاشياً لهوموم، رافضاً لأوجه الانحطاط العقدي والتأزم الثقافي.

* إن المبدع الأصيل هو من يتسم بالموضوعية في التفكير، والاعتدال في الحكم، فهو لا يشتط في حكمه على مجتمعه - الصغير أو الكبير -، فإن كان ثمة ظلام فلا بد أن يختلط بضياء... وإن كان ثمة تخلف فلا محالة أن يمتزج بتقدم... وإن كان ثمة قسوة فلا جدل أن يتخللها عطف... وإن كان ثمة ياس فلا شك أن يغالبه تفاؤل...

* إن المبدع الحقيقي هو من يشعر بمسؤوليته إزاء النهوض بمجتمعه؛ فالنهوض هو ما يدفعه إلى التآلق في سماء الإبداع والإبحار في عالم المبدعين.

مناقشة التطبيقات العملية:

التطبيق الأول: (زيادة استهلاك إطارات الشاحنات):

أظنك قد توصلت إلى أن المشكلة تتمثل بالخسارة المترتبة على تغيير الإطارات في فترات قصيرة جداً، وذلك بسبب بيع السائقين للإطارات (سرقته)، ولذا فيكمن الهدف في توفير تلك المبالغ من خلال إيجاد آلية

تمنع السائقين من بيعها، وبعد قيامك بمثل هذا التفكير قد تتوصل إلى الحلول الجيدة التالية).

1- تحديد فترة زمنية معينة (6 أشهر مثلاً) كحد أدنى للاعتراف بتلف الإطارات.

2- مطالبة سائقي الشاحنات عند تلف الإطارات بتقديم الإطارات التالفة كشرح للاعتراف بذلك.

3- استبدال السائقين الحاليين بآخرين أكثر أمانة.

وربما تكون قد توصلت إلى أشباهها، ومع جودة مثل تلك الأفكار واحتمال مناسبتها للمشكلة، إلا أنها تظل حلولاً تقليدية، يستطيع الكثير منا أن يحدد العشرات منها، ولكننا نبحث هنا عن حلول إبداعية، لا أدري إن كنت قد توصلت إلى واحد أو أكثر منها!!

ما رأيك بالحل التالي:

يجب أن تقوم الشركة بتوفير إطارات لشاحناتها غير متوفرة في السوق... لماذا؟! لإزالة الفرصة التي تمكن السائقين من بيع الإطارات. ألا توافق على أن هذا الحل إبداعي في حالة كونه ممكن التنفيذ، ومعقول التكلفة؟

ألا تلاحظ أنه يتميز على الحلول الأخرى؟

ألا تلاحظ أن هذا الحل تجاوز بعض الأقفال الذهنية (الحدود المتوهمة)... كالقفل (كن عملياً)... إن الكثير منا قد يعيقه هذا القفل عن الوصول إلى مثال هذا الحل بحجة أنه يجب توفير الإطارات مما هو متوفر في السوق، مع أنه قد تتمكن الشركة من استيراد ما تريد من إطارات من الخارج.. وهذا عين ما حصل واقعاً في تلك الشركة... فهنيئاً لها إبداعها...

إن هذا الحل لا يعدو أن يكون حلاً إبداعياً من سلسلة طويلة من الحلول الإبداعية.. فأرجو أن تكون قد لامست أحدها.. وإلا فيمكنك أن تعيد المحاولة، وأظنك بتوفيق الله - تعالى - ستنتج....

التطبيق الثاني: (تطبيق الدوائر التسع):

إن من لم ينجح في تجاوز القفل الذهني (التزم القواعد)... كأن يكون حبيساً للمربع الذي وضعت فيه الدوائر التسع... فإنه لن يعثر على حل لهذا (اللغز الغامض)!!

من قال لك لا تخرج من قبضة ذلك المربع؟!.. من قال لك لا تتجاوز حدوده؟! من أخبرك أن الالتزام بمثل تلك الحدود من (اتباع القواعد)... لا أحد!! غير ذلك القفل!

لقد عرفت سابقاً أن من لوازم الإبداع الانطلاق (التفكير المنطلق) الذي لا يحده شيء... (إلا الضوابط الشرعية)...

هنيئاً لك بالإبداع إن كنت قد تجاوزت ذلك القفل... ومرحباً بك إن عزمت على نزعته مستقبلاً...

أما الحل بل الحلول فكما يلي:

(راجع الملف المسمى شكل 1.BMP-133 على اسطوانة البيان) .

إذاً بالإبداع نظف بحلول رائعة لمشكلات قد يحكم عليها البعض بأنها (معضلات تستعصي على الحل)، ومن ثم المطالبة بضرورة الاستسلام والتكيف معها!!

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت في عرض هذا الموضوع الخطير، وأن يساهم في إكساب المنهجية العلمية في التفكير والإبداع...، وختاماً: لتتذكر جميعاً مرة بعد أخرى:

الهوامش:

(1) د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، ط 2، ج1، مادة بدع، 34.

(2) كلمة مفيد في التعريف هامة جداً، حيث إنها تتنكر لما يمكن تسميته بـ (إبداع العبث) !!، وهذا اللون من العبث يعد إبداعاً من الناحية اللغوية.

(3) د. عبد المجيد نشواتي، علم النفس التربوي، ص 134-135.

(4) أرجو إعادة قراءة منهج الإبداع مرة أخرى. وما ذهبت إليه إزاء منهج التفكير الإبداعي مشابه لما ذهب إليه هاريس Harris في 1959م، انظر: د. حلمي المليجي، علم النفس المعاصر، ص 191-192.

(5) Rogervon Oech, A Whack On The side of The Head - how you can be More Creative, P.38.

(6) أصل العبارة لبيكاسو، انظر سيكولوجية الإبداع، د. عبد العلي الجسماني، ص 26.

(7) ألكسندر روشكا، الإبداع العام الخاص، 58-50، د. فاخر عاقل، الإبداع وتربيته، ص 32-27، د. محمد عبد الغني، مرجع سبق ذكره، ص 88 - 93.

(8) نبيل عبدالفتاح، مرجع سبق ذكره، ص 60 - 61، د. كمال أبو سماحة وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 21 - 26.

(9) نهاد درويش، الحيل النفسية، ص 14-23.

(10) ألكسندر روشكا، ص 181 - 187، د. محمد عبد الغني، مهارات التفكير الإبداعي، ص 40 - 50.

(11) Horngren, Cost Accounting, Prentice Hall Inc. 1994, P.200.

- (12) زهير المزيدي، مقدمة في منهج الإبداع، رؤية إسلامية، الوفاء للنشر، 1413هـ، ط 1، ص 166.
- (13) د. عبد الستار إبراهيم، آفاق جديدة في دراسة الإبداع، وكالة المطبوعات، الكويت، ص 109.
- (14) دين سايمنتن، ت: د. شاكر عبد الحميد، العبقرية والإبداع والقيادة، ص 94.